الشيء الثاني الذي يؤكد نظرية النظام الكمي ، فزيائيا عند إدخال الميكانيكا الكم تم إيجاد علاقة بين الطاقة والدالة الموجية للإلكترون ما يعرف **"بمعادلة شرودينغر"** (Hy=Ey)، الملاحظة نفسها موجودة عندنا حيث علاقة وطيدة بين الطاقة (سعر البترول) والحالة الموجية للشعب، فكل ما ارتفع سعر برميل البترول أضرب الشعب في موجة الغلاء والضرائب و.....و..... .

فهنيئا بالنظام الكمي الجديد لبلد المعجزات؛ ها قد سبقنا الشعوب الأخرى بنظام كمي طُبق على أدق مكونات الكون (الذرة) وهذا خير دليل على دقة النظر؛ التفكير و القرارات الصادرة .

التحرر الفكري هو الابتعاد عن التقليد و الهوى حيث يكفل للعقل أن يعمل بكامل قواه دون ضغوط.

و حب الحقيقة يدفع العقل للسعي الحثيث لإدراك الأمور على حقيقتها ابتعادا عن الظن و الوهم و التخمين "إن الظن لا يغني من الحق شيئا " و لا يمكن للإيمان أن يستقر في قلب الإنسان دون العقل المتحرر اليقظ المتأمل.

تحري الحق كخلق أول للفكر هو الأساس الذي تقوم عليه أخلاق فكرية أخرى مثل: حسن الحوار – التسامح الفكري – التسامح الديني.

أخلاق الفكر

أبو ريان

الحاسة الخلقية امر فطري جبل عليه الإنسان منذ خلق "و نفس و ما سواها فالهمها فجورها و تقواها" و كل سلوك اخلاقي يأتي من خلال الإدراك او التصور ثم الانفعال ثم اخيرا نزوعا لفعل الخير او الشر. و قد حدد رسول الله مهمته بقول " إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق"

إن العقيدة تنمي حب الاخلاق و تدفع نحو النمو ، و العبادة تنمي العقيدة و الاخلاق معا ، و تفتح الافاق الرحبة امام النفس و تذكر الإنسان بمعالي الامور.

I– اخلاق الفكر

هناك مرتبة عالية من النظام الخلقي حيث يقوم الفكر بدور كبير في حياة الإنسان ، فإذا استقام الفكر ساعد على استقامة الإنسان, يحتاج الفكر إلى التحرر و حب الحقيقة من اجل الوصول إلى الحق

II- الاخلاق المركبة :

كل سلوك إنساني هو تركيب من نوعين من الاخلاق ، اخلاق الفكر و اخلاق النفس و يؤدي مزج هذين الخلقيين إلى سلوك او فعل ظاهري محسوس.

يمكن سرد جملة من المعادلات الاخلاق لتوضيح ذلك :

التقوى + إيجابية = ثورة على المنكر

التقوى + السلبية = صمت عن المنكر

الورع + تحرر الفكري = اجتهاد محكم

الورع + تقديس السلف = تقليد او جمود

الإخلاص + تسامح = تعاون

الإخلاص + تعصب = طائفية

العفة + الإيجابية = نشاط

العفة + السلبية = عزلة خاملة

III- إخلاق القوة و إخلاق الخير :

لماذا قامت الحضارة الغربية و تفوقت و سادت مع وجود الانحرافات الخلقية و لماذا انهارت الحضارة الإسلامية مع وجود إخلاق الخير ؟ إن نظام القيم يقوم على إخلاق إساسية إنسانية لا يمكن لاي مجتمع او حضارة ان تستغني عنها بل هي ركائز البناء و التفوق و السيادة: مثل قوة الإرادة و الصبر و الثبات و الهمة الولوع بالغاية و الاستعداد للتضحية و الحزم و الحيطة و إدراك العواقب و الطموح و النظام و الشجاعة و المغامرة ...إلخ و لا يستطيع اي إنسان ان ينجح بدونها مؤمنا ام كافرا و هذه الاخلاق تسمى إخلاق القوة ثم ياتي بعد ذلك توجيه هذه الاخلاق باخلاق إخرى كإخلاق الخير او إخلاق الشر.

فالحضارة الغربية سادت بفضل إخلاق القوة و لكنها انحرفت باخلاق الشر و الحضارة الإسلامية انهارت بغياب إخلاق القوة رغم وجود إخلاق الخير في المجتمع.

لقد كان رسول الله –صلى الله عليه و سلم – يستعيد بالله من إخلاق الضعف " اللهم إني إعوذ بك من الهم و الحزن و إعوذ بك من العجز و الكسل و إعوذ بك من الجبن و البخل و إعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال"

فلا ينفع المؤمن ذو إخلاق ضعيفة و إن كان صاحب إخلاق الخير لذلك ينبغي ان يتخلص من العجز و الكسل و الجبن و التردد و الخوف من المسؤولية و ضعف الإرادة.

IV- الانحراف الاخلاقي النفسي :

ظهرت عبر التاريخ طبقة من المتصوفة اجتهدت في تزكية القلب و الإعراض الخلق و رياضة النفس و حب الخلوة و التذكير و كثرة الاوراد و ابتعدت عن الفكر و الثقافة و فهم الحياة فادى بهذا السلوك إلى ظهور التواكل و السلبية و العزلة و عدم القدرة على التغيير مما سهل عملية الاختراق الفكري للامة وغاب الإبداع و الاجتهاد و التجديد في مجالات الحياة ، و هو سلوك مشابه للرهبانية التي ابتدعتها النصارى التي إدخلت الإنسان إلى الكهوف و المغارات و عات على هام التاريخ و الحضارة بل إفرزت ثقافة مشوهة للنص فإعتبر الزهد هو قمة الصلاح و العبادة ، و الاستعمار قضاء و قدر ، و الإلهام و الكشف هو العلم الحقيقي.

V- الانحراف الفكري :

و هو إخطر إنواع الانحراف ذلك إن الفكر غير مضبوط بالوحي او استقراء التاريخ و التجارب إدى إلى الغلو و التطرف و التشدد ، لقد كان رسول الله (ص) يزجر في الانحراف الفكري في حين يلين في الانحراف الاخلاقي المنبعث من شهوات النفس فقد نهى معاذ بن جبل في إمر إطالة الصلاة بالناس, و زجر إسامة بن زيد في قتل الكافر الذي إعلن الشهادتين ، إن التطرف و التشدد الذي إدى إلى التكفير و المواجهة مع المجتمع و سبب ضحايا كبيرة و إجهاض للدعوة الإسلامية ناشئ من الانحراف الفكري الذي يطبع بعض الجماعات الإسلامية التي تنطلق من فهم غير سليم للنص و الواقع.

VI- مفاهيم ينبغي ان تصحح:

هناك مفاهيم و افكار ينبغي ان تصحح اساسها فهم خاطيء و تاويل مختل لتاريخ السلف و حياتهم:

ا – مفهوم الصلاح: الإنسان الصالح في نظر البعض هو من لا يزني و لا يسرق و لا يشرب الخمر و لا يخالط الناس و كاننا في غفلة عن اخلاق الحياة الفاضلة من اخلاق الجد و اليقظة و النظام و التعاون و الكفاءة و الإبداع و التخطيط و القدرة على اتخاذ القرار التي هي ايضا من اخلاق الصلاح لا تقل اهمية عن اجتناب المحرمات. وقد اشارت الاحاديث النبوية إلى قيم الفعالية :

"إن الله يحب احدكم إذا عمل عملا ان يتقنه"

"لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين"

"اعقلها و توكل" ،

"لا يكن احدكم إمعة إن احسن الناس احسن و إن اساؤوا اساء ولكن وطنوا انفسكم فإذا احسن الناس احسنوا و إن اساءوا تجنبوا إساءتهم "

ب-الزهد هو السعي للكسب مع الجد يتبعه بذل في سبيل الله اي ضرورة الجد في طلب الرزق و الحصول على خبرات الدنيا مع حب البذل في سبيل الله كما في الحديث النبوي " على كل مسلم صدقة....."

ج-كل خلق يمارس حسب طبيعة الموقف: الشجاعة في حالة الظلم، الشدة في حالة قتال العدو، الرفق حين الدعوة و التربية، العدل أثناء الحكم, و كل خلق يمارس حسب طبيعة الحال و الشخص و الظرف من غير غلو أو تفريط.

VII- مرتكزات اخلاق الفكر :

لكي يعمل الفكر بكل قواه و يحقق حياة سلوكية سليمة و يؤدي إلى نتائج جيدة على ارض الواقع ينبغي ان يتاسس على مرتكزات اهمها :

فقه الاولويات: اي البحث عن الاهم و إدراك اهميته في الواقع و العمل

فقه الموازنات: يقول ابن القيم الجوزية: " خاصية العقل تحصيل اعظم المنفعتين بتفويت ادناهما و احتمال اصغر الالمين لدفع اعلاهما".

استقراء التجارب: قال احد الحكماء: "اشد الامور تاييدا للعقل ثلاث: المشاورة و التثبت و التجربة و اشد ضررا بالعقل الاستعجال و الاستبداد بالراي و التهاون"

الاعتدال وهو المنطقة القائمة بين الإفراط و التفريط او بين الغلو و التقتير او بين الشدة و اللين.

العلم وسعة المعرفة